مجلة التنمية وإدارة الموارد البشرية -بحوث ودراسات-
المجلد: 08 العدد: 02، 2020 ص.ص: 120-131

قراءة سوسيولوجية للموروث الثقافي بين ثنائية التغير الاجتماعي والتغير الثقافي ودوره في الحفاظ على الهوية الثقافية

Sociological reading of the cultural heritage between the dualism of social and cultural change and its role in preserving cultural identity

أسامة باحمد

جامعة البليدة 2، الجزائر

bahmedoussama79@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2018/9/18 **تاريخ القبول: 2018/12/30**

ملخص:

نهدف من خلال هذا البحث إلى تقديم قراءة تحليلية سوسيولوجية للموروث الثقافي بين الثنائية التغير الاجتماعي والتغير الثقافي ودوره في الحفاظ على الهوية الثقافية ذلك في ظل التحولات التي يشهدها المجتمع، فالموروث الثقافي يتميز بخاصية التنوع في كافة المجالات، وهذه حصيلة نتاج ثقافي و حضاري و اجتماعي المكون عبر التاريخ، لذلك سعت الأسرة الجزائرية إلى الحفاظ والاستثمار في موروثها الثقافي معرفيا واجتماعيا و ثقافيا وحتى اقتصاديا، لخدمة المجتمع و الحفاظ على هويته الثقافية، وذلك راجع لأهمية الإنسانية والاجتماعية لموروث الثقافي، و من المهم إطلاع الأفراد لاسيما الجيل الجديد على موروثات بلدهم وكيفية حماية هذا الموروث من هذه التغيرات الاجتماعية .

الكلمات المفتاحية: الموروث الثقافي، التغير الثقافي، التغير الاجتماعي، الهوية الثقافية.

Abstract :

The aim of this research is to provide a sociological and sociological reading of the cultural heritage between the two social changes and cultural change and its role in preserving the cultural identity in light of the transformations witnessed by society. Cultural heritage is characterized by diversity in all fields and this is the result of cultural, History Therefore, the Algerian family sought to preserve and invest in its cultural heritage, both socially and socially, culturally and even economically, in order to serve the society and preserve its national cultural identity, in view of the importance of humanity and social culture. It is important to inform individuals, especially the new generation, about the heritage of their country and how to protect this legacy from these social changes.

Key words: the main key words of the article

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة :

إن الإنسان كائن اجتماعي لذلك سلوكه يصدر في أشكال وأنماط منتظمة لأن لديه القدرة على إنتاج الثقافة وهي خاصية تميزه عن باقي المخلوقات، فالعادات والتقاليد والأفكار التي يشارك فيها أفراد المجتمع والتجارب التي يمر بها الإنسان تستقر في أعماقه، ويستخدمها المجتمع جيلا بعد جيل ويحولها إلى القيم وتراث جماعي، وعليه فالثقافة لا توجد إلا بوجود المجتمع قد تتفق مع بعض الناس في كل شيء كما قد يكون الاتفاق في بعض الأشياء فقط، وهي البيئة المحيطة بالإنسان التي تكون من صنعه وتمثل الحصيلة الإجمالية لمعارفه ومعتقداته وفنونه وأخلاقياته وعاداته وتقاليده وقيمه، ومختلف والعادات و التقاليد الأخرى التي يكتسبها الإنسان في عرف المجتمع، فيمكن القول أن الثقافة هي طريقة الحياة لمجموعة من البشر التي تميزهم عن غيرهم، لذلك نجد التنوع الثقافي والحضاري الذي يتمثل في التراكمات المتكونة حسب عمق وتاريخ وعراقة الأمم والمخلفة للعديد من الشواهد الحضرية و الآثارية بنوعيها المادي و اللامادي، فالموروث الثقافي يتميز بخاصية التنوع في كافة المجالات وهذه حصيلة نتاج ثقافي وحضاري واجتماعي المكون عبر التاريخ، لذلك سعت الأسرة الجزائرية إلى الحفاظ والاستثمار في موروثها الثقافي معرفيا واجتماعيا و ثقافيا وحتى اقتصاديا، من أجل خدمة المجتمع وضمان استمرار يته لأنه مهم فإطلاع الأفراد لاسيما الجيل الجديد على موروثات بلدهم، ولكي تتعزز روحهم الوطنية والإنسانية وتتحفز قدراتهم الإبداعية من خلال معرفته بماخلفه أجداده، والاستفادة من خبراتهم ومهاراتهم لاسيما في مجال الإبداع الأدبي والفني والاستشهاد بالقيم السامية وجعل المجتمع أو المجموعة البشرية في حالة ازدهار وتطورفي مختلف المجالات، إلى جانب أن الإهتمام بالموروث يساهم في تعزيز الحوار بين الثقافات واحترام الإنسان ولهويته ولانتمائه، ومن جهة أخرى عدم الإهتمام بالموروث الثقافي يؤدي الى حدوث قطع مع ذاكرته حتى إذا ضاع الموروث فيصبح الانسان كأنّ لاذاكرة له، وعليه نؤكد أن الإهتمام بما خلفه أجدادنا وأسلافنا ضروري لتعزيز الروابط الإنسانية والوطنية مع تفعيل الحوار المتبادل ضمن الهوية الإنسانية والثقافية للمجتمع.

أولا: مفاهيم وتعريفات مرتبطة بالموروث الثقافي:

تتعدد المفاهيم والتعريفات حول الموضوع الموروث الثقافي سواء في الثقافة المادية واللامادية حول أي مجتمع والتي تمثل الماضي والحاضر والمستقبل، وفضلا عن ذلك فان الموروث الثقافي يشكل مركبا رئيسيا لخصوصية الشعوب والمجتمعات لأنه يقدم فائدة اجتماعية بمختلف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنواعها خاصة على الصعيد المحلي، وعليه يمكن أن نتطرق لبعض المفاهيم التي لها علاقة بالموروث الثقافي وهي:

1. **الثقافة:** إن مفهوم الثقافة حسب المعاجم اللغة العربية وخاصة ماجاء به في لسان العرب، يجد أنها أشتقت من أصل لغوي ثقف، وتعني صارحا، و ثقف الإنسان يعني أدبه وهذبه وعلمه، وقد عرفها تايلور: أنها الكل المركب الذي يشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معين.[1]
2. **الهوية الثقافية:** تعد الكيان التاريخي المتعلق بالتراث والمعاصرة والأصالة والحضارة، وتعرف على أنها ما يمنح الناس المشاعر الانتماء والأمن والاندماج بالجماعة حيث تزودهم بالمعايير المشتركة، والتي تمكنهم من التواصل والتفاعل وتزودهم بالقيم والطموحات المشتركة.
3. **الموروث الثقافي:** إن الموروث الثقافي يعني تلك الأشكال والعناصر الثقافية المادية والفكرية والاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع ما وفي وقت ما، وثم طرأ على هذا المجتمع تغيير وانتقال من أوضاع إلى أوضاع أكثر حداثة .[2]
4. **التغير الثقافي:** يقصد به كل تغير يحدث في الجوانب المادية والغير المادية للثقافة، بما في ذلك العلوم والفنون والفلسفة والتكنولوجيا والأذواق الخاصة بالأكل والمشرب واللغة، هذا بالإضافة إلى المتغيرات التي تحدث في بنيان المجتمع ووظائفه، وعلى هذا فمفهوم التغير الثقافي أوسع حدودا ومدلولا وأكثر شمولا وامتدادا من مفهوم التغير الاجتماعي، لان كل تغير الثقافي يتضمن بالضرورة تغيرا اجتماعيا.
5. **التراث الثقافي:** هو مجموعة النماذج الثقافية التي يخلقها الفرد من الجماعات المختلفة التي هو عضو فيها، ويتضمن هذا التراث العادات والتقاليد التي ورثها الفرد .
6. **التنوع الثقافي:** استخدم الأنثربولوجي الفرنسي كلود ليفي ستراوس في كتاب العرق والتاريخ فضلا عن جميع مؤلفاته، فهذا المصطلح بكثافة ليشير به إلى التنوع الناتج عن تجاوز الثقافات وعن تداخلها بفعل إرادة ومصلحة الإنسان، والذي كان مصدر غني بكل معنى الكلمة بالنسبة إلى البشرية جمعاء ومن أقدم العصور فالتنوع الثقافي ميزه الإنسان على الأرض، وهو سمح لكل مجموعة بشرية أن تعلم وتتعلم من الأخرى ضمن ديناميكية التبادل الثقافي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7. **الثقافة الغير المادية:** هي كافة السمات الغير الملموسة كالمهارات والمعايير والمعرفة والمعتقدات واللغة التي تنتقل من جيل لأخر.
8. **الثقافة المادية:** تعني كل الأشياء المادية التي يصنعها الإنسان كالمسكن والأثاث والملابس وغيرها من مظاهر الحياة، و كل ما يشمل الإنتاج والتكنولوجيا والاختراعات التي تحدث مثل هذه الأشياء ويرى الماركسيون أن المظاهر المادية للثقافة هي صاحبة الكلمة الفاصلة في النظام الاجتماعي بالأسرة.[3]

ثانيا: عناصر الموروث الثقافي:

1. **الموروث الفكري:** عادة ما يرتبط الموروث الثقافي بالإنتاج الفكري و العلمي والأدبي لما خلفه علماءنا و مفكرونا سلفا و المتمثل في الأعداد الهائلة من الرسائل والكتب والأبحاث التي ألفوها، فحفظها التاريخ سواء كانت منشورة أو غير منشورة أو كانت عبارة عن مخطوطات، وهذا حسب ما تطرقت إليه الباحثة ياسمينة شرابي في مذكرتها الماجستير التي تعتبر أن الموروث الفكري هو نفيسا بالنسبة لتقاليد العصر والحاضر، وجزء من أثار الحضارة الإنسانية والتراث الفكري المتمثل في تلك الآثار المكتوبة والموروثة، فهي لا تعد نتاج ماضي بل تراث فكري الذي كان موجود في المكتبات والمخازن والمساجد.[4]
2. **الموروث الاجتماعي:** لقد تكلم عبد الغني عماد في كتابه الشهير سوسيولوجيا الثقافية من أهم الموروثات الاجتماعية خاصة فيما يتعلق بالعديد من المعتقدات والممارسات الاجتماعية، وكذلك طواهري الميلود الذي قدم تحليل وتفسير رائع حول أشهر المعتقدات السائدة في المجتمع العربية، التي هي مجمل ما يؤمن به الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي ومجمل تطورات الناس عن بعض ظواهر الطبيعية، فلهذا يتبين من خلال هذا التعريف أن المعتقدات بأفكار الناس حول الكون ويمكن أن نذكر منها :

الاعتقاد والتبرك بالأولياء الله الصالحين، ممارسات السحر، والشعوذة، الطب الشعبي، الأحلام وتأويلاتها، والأغاني الشعبية والآلات الموسيقية مثل الأغاني الشاوية والقبائلية وكذلك الألعاب الشعبية والفنون التشكيلية مثل الكرة والفروسية البارود، وكذلك الصناعات والحرف مثل صناعة الزرابي والحرف وصناعة الفخار والحلفاء .[5]

3. **الموروث الشفوي:** هو بمثابة المخزون الثقافي المتواجد في أذهان الأجداد والملقن والمتوارث للأحفاد، حيث قدمت الباحثة ياسمينة شرابي في رسالتها بعض الأعمال لعبد الحميد بورايو خاصة في قائمة الفنون الشعبية والموروثات الشفوية المتمثلة في قصص

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقاومين والثوار قصص الأولياء الله الصالحين، والأساطير والأغاني بأنواعها الأمثال والحكم .[6]

ثالثا: الأسرة وأزمة التنوع الثقافي وأثره على الهوية الثقافية الوطنية:

إن أهم مؤثر للتنشئة الاجتماعية للأفراد هي الأسرة وخاصة الوالدين، فالطفل في مرحلة طفولته الأولى وقبل دخوله المدرسي يقضي معظم وقته مع والديه، كما أنه يقضي في المنزل وقتا أكثر مما يقضيه مع أقرانه، لذلك فان الاتجاهات والخلفية المنزلية العامة التي يهيئها الوالدين من الأشياء المستحبة والأشياء الغير المستحبة لها تأثير بالغ على النمو الطفل وتوافقه خلال تلك السنوات المبكرة، حتى في السنوات الطفولة المتأخرة وفي فترة المراهقة، وعليه فان المتطلبات الو الدية العامة وإجراءات التنشئة والتربية تضمن قدرا أكبر من السيطرة على السلوك النامي للفرد فالتنشئة الاجتماعية تنطوي على العمليات الأساسية اللازمة لاستمرارية الحضارة وتراكم حصيلة المعرفة الاجتماعية ونقل الثقافة والتراث من جيل لآخر لذلك نقول أن الموروث الثقافي يتميز بخاصية التنوع في كافة المجالات لأنه حصيلة نتاج اجتماعي ثقافي، أما من ناحية الفرد فأن التنشئة الاجتماعية تزود بالمهارات والميزات اللازمة للعيش في جماعة إنسانية والتكيف لمطالبها والتوافق مع قيمها، وفي مجمل القول أن اهتمامها ينصب على الجانب الاجتماعي الثقافي من عملية تنمية الشاملة للأفراد.

لقد ركزت الأسرة على الخدمة الاجتماعية من خلال المسؤولية الاجتماعية أكثر من تركيزها على المشكلة المنظورة في بلوغ الأسرة إلى أقصى ما يمكن في إشباع حاجات أعضائها حتى لاتفقد حدود المسؤولية الاجتماعية داخلها مستخدمة في ذلك طرق رئيسية تعمل مع الأفراد بإعادة توازنها، وتستخدم طريقة خدمة الفرد لتساعد الأسرة على اكتمال عملية التنشئة الاجتماعية لأبنائها داخل جماعات أخرى وكذلك خارج إطار الأسرة الذي توجد فيه تطورات الواقع و الحياة المعاصرة بكل ما تحمله من تغيرات التي فرضت على الأسرة الدخول في عالم التحديات الجديد الذي يشهده العالم، وكذلك على مستوى الواقع و مظاهر العصرنة تجد الأسرة نفسها أمام الإشكالية ومعضلات خلفتها تعقيدات وأزمات الواقع المعاش، فالأسرة هيكل اجتماعي يتميز بطابع ثقافي مميز يختلف من مجتمع إلى آخر، ويعمل هذا النظام السائد فيها على طبع وتلقين الفرد منذ طفولته أو نعومة أظافره على السلوك الاجتماعي مقبول، ويتعلم داخلها على طبيعة التفاعل مع الأفراد والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع، لذلك فإنها تقوم بالعديد من الأدوار المتنوعة التي تحمل في طابعها الخلفيات الثقافية والاجتماعية والسياسية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحددة لمعالم الهوية الثقافية في المجتمع مع مواكبة العصرنة العالمية دون التفريط في الموروث الثقافي المتوارث عن الأجداد، وباعتبار الأسرة جزء لا يتجزأ من المجتمع الكلي الذي يعرف العديد من الظاهر الاجتماعية والثقافية بطريقة لا إرادية التي يفرض عليها التحلي بلباس جديد بتلائم مع معطيات العصر المندرج ضمن الثقافة العالمية، قد وضح عبد الغني عماد أن ثقافة العولمة هي الثقافة المكتوبة أمام همجية ثقافة الصورة التي استطاعت أن تحطم الحواجز اللغوية بين المجتمعات الإنسانية، وتهدد الأمن الثقافي للمجتمعات والإبقاء بحاجات الأفراد من القيم والرموز و المعاير التي أصبحت مهددة لأمن من طرف الإعلام الذي له علاقة بنيوية بالثقافة و كثيرا ما يتداخلان .[7]

أما فاروق حسان وضح في كتابه الثقافة المتنبي الذي يعطي الثقافة طابعها المميز ومقوماتها الخاصة، وهو وجود طائفة من السمات الرئيسية العامة التي تسود المجتمع وتفرض نفسها عليه والتي تعرف باسم العموميات الثقافية، وعليه تتمثل هذه العموميات الثقافية في وحدة المشاعر ووحدة التقاليد والعادات والممارسات التي يشترك فيها كل أعضاء المجتمع كالشعائر والمعتقدات الدينية واللغة وما إليها من السمات أساسا جوهريا في تكوين المجتمع والحفاظ على هويته الثقافية، ففروع الثقافة لغة و تربية وإعلاما و إيداعا محكوم عليها بان تحمل في جوفها تناقضا جوهريا من نوع ما .[8]

إن الأسرة تخضع للعديد من الأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعائلية من حيث امتدادها التاريخي العائلي، فهذا يشكل لنا الثقافة المعينة لمجتمع معين، فمجال التنشئة الاجتماعية والتعليم المتناقل عن طريق المخزون أو الموروث الثقافي التاريخي والمتوارث بطرق عديدة ومختلفة مثل التربية الأسرية المناهج الدراسية، ووسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية والتراث الأدبي بأشكاله المختلفة والأقوال المأثورة التي نرددها كأمثال الشعبية، والحكم وغيرها من الأمور التي تحرص على نقل الموروث الثقافي وتوريثه من جيل لأخر، ذلك من أجل تحقيق إنتاج فكري والثقافي الخاص بطبيعة المجتمع الذي يشكل الهويته الثقافية الخاصة به، فهذا الأخير يشكل البيئة الثقافية التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع، بحيث أن الثقافة تتأثر بالعوامل البيئة الطبيعية وكذلك ما ينتجه العقل البشري عن طريق منجزات العقل والتكنولوجيا، وأن تطور العلم والتكنولوجيا وشارع الأحداث في العالم اليوم حتمت على الدول بحماية تراثها مما ما قد تتعرض عاداتها وتقاليدها إلى هزات على مستوى الثقافي والاجتماعي وما يصاحب ذلك من صناع للهويات الثقافية والتأثير السلبي على الموروث الثقافي ومن اجل يلزم على المؤسسات الثقافية أن تجتهد في حفظ الموروث الثقافي من الزوال فهذا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموروث يعتبر بوتقة للتنوع الثقافي وعاملا يضمن التنمية المستدامة وتطوير الوعي الاجتماعي والنفسي والثقافي من أجل التقرب من الهوية الأصلية.[9]

رابعا: الغزو الثقافي وسبل مقاومته من أجل الحفاض على الهوية الثقافية:

ان الهوية الثقافية للأمة لا ترفض الانفتاح والتفاعل البناء مع الثقافات الأخرى، بل أنها تدريجيا تكونت كنتاج وطني قومي منبثق من واقع معين، ولكن أيضا باستيعاب لعناصر الثقافية أخرى وهضمها في عملية التفاعل طبيعية لم تنفي الأصالة ولا أضعفتها، وقد أكدت لنا الهويات الثقافية والدعوة إلى صيانتها والحفاظ عليها وتعزيزها، فان هذه ليست دعوة للعزلة والانكماش وبالتالي يؤكد عزيز الحاج بأنه ليس ضد كل ما هو أجنبي، وهناك الكثير من النتائج العلمية والفنية الأجنبية شرقية أو الغربية يجب الاستفادة منها ووضعها في خدمة قضية التنمية والتقدم في البلدان النامية ومنها الوطن العربي .[10]

وعليه نشير أن الجهد العربي الثقافي وعلى الصعيد الدولي ومنذ حوالي عشر سنوات على وجه الخصوص كان يدافع عن المعالم المقدسة وعن الحقوق التعليمية والثقافية لأبناء الوطن العربي، وكان يسعى جاهدا لتعميم استخدام اللغة العربية ونشر الثقافة العربية والتراث الإسلامي في إطار العديد من البرامج دولية مستقلة، مثل الأنظمة التعليمية والعناية بلغة العربية، وتعريف المواطن بالأحوال الاجتماعية والثقافية والسياسية في سائر البلاد العربية بواسطة الكتب والإذاعة والصحافة بمختلف أشكالها، وأيضا إحياء التراث العربي والفكري والفني والمحافظة عليه وكذالك إنشاء المجالس اللغوية وتوثيق الصلات بين دور الكتب والمتاحف المختلفة مع تبادل الخبرات الثقافية الخاصة بالموسيقى والمسرح والسينما والفنون الشعبية، اظافة إلى تبادل الأساتذة والمدرسين والخبراء العرب وتبادل الطلبة والتلاميذ وتشجيع الرحلات الثقافية والكشفية والرياضية وعلى التنسيق الجهود في سبيل التعاون الثقافي الدولي من أجل تبادل الخبرات وتنظيم الاتصالات وإنشاء المؤسسات الثقافية .[11]

ولكن لا ننسى من جهة أخرى أن صراع الأجيال أدى إلى تصادم بين المثل والقيم الجيل الجديد مع الجيل القديم، أي الشيوخ والشباب يمكن أن يلمس في الكثير من المجتمعات وهذا يعطي للقضية أبعاد كثيرة، لذلك كان الإمام علي على كل الحق حين أراد من الآباء تربية أبنائهم على غير نمط الذي شبوا هم عليه، لأن الأبناء ولدوا لزمان غير زمان الآباء فقال: علموا أبنائكم، فإنهم ولدوا لزمان غير زمانكم، وهذا النهج في النظرة للشباب والتعامل معه يجب أن ينعكس في مختلف الميادين الاجتماعية والفكرية والسياسية، فحسب دكتور عزيز الحاج يجب على القيادات المجتمع أن تعي بدور الشباب وأن تشعر بهم وتقدر دورهم وهذا النهج لا يعني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السماح بالانفلات أو بالطيش والعدمية تجاه كل تراث وكل القيم والعادات والتقاليد ولكن يعني تفهم خصوصية طبائع الشباب وخصوصيات مشاكلهم .[12]

ففي تعاملنا الثقافي وغير الثقافي مع هذه الدول هناك محاذير ومكامن إخطار على الصعيد الثقافي ومثال ذلك وضع اللغة العربية في الجزائر كمثال صارخ، حيث لا يزال النضال من اجل التعريب صعبا ومعقدا إذ يلتقي بعراقيل هي من صنع عوامل وظروف تاريخية وثقافية واجتماعية وسياسية، وهي أيضا من صنع عوامل وتأثيرات خارجية غربية، هذا مجرد مثال حيث إننا نواجه احتمالات أو مواقد الخطر في مختلف الميادين الثقافية و الفكرية من نتاجات سينمائية أو تلفزية أو فنية، ومن مدارس وتيارات واتجاهات فكرية وفلسفية ومن دراسات بعض علماء الاستشراق تشويها لتاريخنا ولجوهر الإسلام، ولا نزال نذكر موجة استيراد ونقل فلسفات ومدارس أجنبية كالوجودية والسوريالية بواسطة أوساط غير ضيقة من المثقفين العرب المنفذين في وسائل و أجهزة ثقافية مؤثرة، وأيضا ولا يزال يوجد طغيانا الأخذ بتفسيرات مدارس علم النفس البرجوازي الغربي أميركية أو غير أميركية و المدارس التربوية الغربية، و الأخذ بالمنطلقات والتحليلات البورجوازية الغربية في ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية لا سيما علم الاقتصاد، أما في دراسة التاريخ فقد وجد مثقفون ومفكرون عرب يرون أن طريق التقدم والتحديث هو طريق رفض التراث كله وتنضر للماضي برمته والاقتداء بالغرب والانفتاح عليه انفتاحا غير مشروط، والأخذ بأنماط التفكير والعيش الموجودة فيه .[13]

لذالك شهد الزمن أن النضال الثقافي هو أولا نضال قومي من اجل وحدة العرب الثقافية وعمادها اللغة العربية هي أساس ودعامة للوحدة العربية التي نطمح إليها و التي تشكل هويتنا الثقافية، ومن حسن الحظ أن الخطوات والمنجزات عديدة وباهرة قد تحققت على هذا الصعيد برغم العراقيل التي واجهة النضال الوحدوي التي تقوم على وحدة الفكر والثقافة، وبما أن الحفاظ على التراث الحضاري العربي وانتقاله بين الأجيال المتعاقبة وتجديده على الدوام هو ضمان تماسك الأمة العربية في مجال الحضارة الإنسانية، وللتعاون في الميادين التربية والثقافة والعلوم ورقيها من آثار فعالة للإنسان والمجتمع العربي والقومية العالمية وعلى الصعيد العالمي من خلال التعاون في تطوير المجتمع و قيامه على أسس متينة من قيمة روحية الأصيلة. [14]

خامسا: الموروث الثقافي بين ثنائية التغير الثقافي والتغير الاجتماعي :

يرى حسين عبد الحميد أحمد رشوان أن الفروق بين اصطلاح التغير الاجتماعي باعتباره تغير في المجتمع، واصطلاح التغير الثقافي باعتباره تغير في الثقافة وتستند هذه الفروق الى التفرقة التي وضعها علماء الاجتماع والأنتروبولوجيا بين الثقافة والمجتمع، فالثقافة تختلف عن المجتمع كما رأى بعض العلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا من حيث البناء الاجتماعي وكما يقول روبورت مالفير robert malviz أن لب الدراسة في علم الاجتماع له خصائص مميزة ومختلفة عن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثقافة وأهمها أن العناصر البناء الاجتماعي تدوم بغض النظر عن مظاهر النشاط الزمنية الزائلة التي يقوم بها الأفراد، ويفسر ايفنز بريتشارد ذلك بقوله أن موضوع دراسة الأنثروبولوجيا هي الثقافة والمجتمع، إلا أن الدراسة البناء الاجتماعي لابد أن تأتي أولا، ويضيف أن تمييز بين الثقافة والمجتمع لا يبدو واضحا، ذلك أن الأنثروبولوجي يصف السلوك الشخصي الظاهر الذي يحوي الاثنين معا غير أن الثقافة تدوم وتنتقل عبر الأجيال كنتاج بجميع تفاصيلها تحت طائلة الموروث الثقافي المكتسب عن الأجداد ويكون عادة المتوارث بطريقة آلية بين الأجيال المجتمعات، لذلك يرى وليام أوجبرن أن لكل مجتمع ثقافة والثقافة هي خاصية الكبرى للإنسان ولهذا كانت دراسة الثقافة دراسة للمجتمع بالضرورة، فهنا يمكننا ملا حضة التزاوج بين الثقافة والمجتمع، وهذا عكس ما يراه علماء الآخرون بأن الثقافة تشمل المنتجات المادية واللامادي للمجتمعات التي تجمع بينهم علاقات المكونة للبناء الاجتماعي، فالثقافة المادية مثل المساكن والأثاث والطعام وكذلك كل الجوانب المادية أما الجانب اللامادي فيكون مثل الأنظمة الزواج والسلطة الأبوية أو تعدد الزوجات، فالجانبان لايمكن الفصل بينهما لأنهما يكونان نظام العائلة ونظام الحياة الاجتماعية .

فالثقافة عند دو روبرتو تتكون من أربعة أشكال من الفكر أو الأفاق هي التفكير التحليلي أو العلم والتفكير التركيبي أو فلسفة والدين و التفكير الرمزي أو الفنون الجميلة، فعند التغير الثقافي فان هذا النظم أو الأفاق الأربعة تتغير ابتداء من العلم ثم الفلسفة أو الدين ثم الفنون الجميلة وأخيرا تتغير التكنولوجيا.[15]

ولقد اهتم مالينوفسكي بموضوع التغير الثقافي، واعتبره العملية التي يتحول بواسطتها النظام القائم في المجتمع، مشتملا ذلك الحضارة الاجتماعية والروحية والمادية من نموذج إلى آخر، وأضاف مالينوفسكي تصورا شاملا للثقافة الذي يحتوي على التنظيم الاقتصادي للمجتمع والنظام المعياري والدستور السياسي وميكانيزمات التعليم ووسائله وأنساق الدين والمعرفة، حيث تتكامل هذه السمات والعناصر في وحدات كاملة التحديد، وهي الوحدات التي احتفظ لها مالينوفسكي بمصطلح النظام ويعتبر النظام مجموعة من البشر المتحدين للسعي في إطار نشاط بسيط أو معقد، فيمتلك النظام عادة كفاءة مادية وتجهيزا فنيا وبالإضافة إلى ذلك فهو منظم، لأنه يستند إلى الميثاق من العادات والقيم و القوانين هذا إلى جانب أنه مصاغ لغويا في الآساطير والخرافات والقواعد والمبادئ ومؤهل ومجهز لأداء وظيفته، ويحدث التغير عادة في أنماط العناصر وليس في عنصر واحد بمفرده.[16]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول ميردوك أن من الخصائص المميزة للثقافة أنها تتغير على مر الزمان و المكان إلى آخر، وهكذا يختلف السلوك البشري الاجتماعي اختلافا جوهريا عن السلوك الحيوان، وهناك بعض الحيوانات أي الحشرات التي تمتاز بطابع الاجتماعي كسلوك النمل أو النحل ففي مجتمع النمل نجد أن المستعمرات التي تنتمي إلى نفس النوع لا تختلف في سلوكها اختلاف بينا، بل لا تكشف عن مظاهر للسلوك ذات طبيعة مختلفة عن ما كشفته نفس الأنواع منذ مايقرب خمسين مليون سنة وعلى عكس ذلك يشهد تاريخ البشرية في أقل مليون سنة تقريبا اختلافات جوهرية وأساسية في سلوك الإنسان .

أما التغير الاجتماعي فهو بدوره يركز على السياق الثقافي العام و النمط الثقافي العام الذي بدورهما يركزان على الطقوس الاجتماعية لهم إذ يمضون أوقاتهم في الاحتفالات وأعياد لا تنتهي، لذلك تقوم المؤسسات الإعلامية بدور بارز في تثقيف كافة الأفراد المجتمع، أما ما تقوم به هذه المؤسسات من تثقيف هو نشر الوعي الثقافي في الأدب والفن ومختلف العلوم والمجالات الأخرى وذلك من خلال البرامج العلمية المصورة والأفلام الوثائقية والندوات وغيرها، وكذلك نشر الوعي السياسي والوعي الاجتماعي من خلال البرامج الوثائقية عن السياحة وأنماط الحياة الدول في كل أنحاء العالم، وأيضا يندرج ضمن السياق الثقافي الوعي الصحي والبيئي والتعليمي مما يرفع مستوى ثقافة الفرد والمجتمع لما تتمتع به المؤسسات الإعلامية من قوة تأثير جماهيرية، فهذه البرامج التي تهدف إلى ترفيه وإمتاع كافة طبقات المجتمع وتغذية هوياتهم الفنية والرياضية والعلمية تشكل جانبا مهما من حياة الأفراد الثقافية، فإن اتصال الثقافات واحتكاكها مع بعضها البعض يؤدي انتقال الكثير من العناصر الثقافية، وبالتالي يؤدي إلى إحداث تغيرات كبيرة في الحية الاجتماعية وقد تتم هذه الاتصالات بين الشعوب بالأساليب السليمة المختلفة وقد تتم عن طريق الحروب مثل ما حدث في العصور الوسطى لدى شعوب الأوربية وهذا النوع من الانتشار الثقافي والتي تنتقل فيه العناصر الثقافية من ثقافة إلى أخرى .[17]

سادسا:أهمية الحفاض على الموروث الثقافي:

لطالما كان تراث الأمم ركيزة أساسية من ركائز هويتها الثقافية، وعنوان اعتزازها بذاتيتها الحضارية في تاريخها وحاضرها؛ ولطالما كان الموروث الثقافي للأمم منبعا للإلهام ومصدرًا حيويا للإبداع المعاصر ينهل منه فنانوها وأدباؤها وشعراؤها، كما مفكروها وفلاسفتها لتأخذ الإبداعات الجديدة موقعها في خارطة التراث الثقافي، وتتحول هي ذاتها تراثا يربط حاضر الأمة بماضيها، ويعزز حضورها في الساحة الثقافية العالمية، وليس التراث الثقافي معالم وآثارًا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فحسب، بل هو أيضا كل ما يؤثر عن أمة من تعبير غير مادي، من فولكلور، وأغان وموسيقى شعبية وحكايات ومعارف تقليدية تتوارثها الأمة عبر أجيال وعصور، وكذا تلك الصروح المعمارية المتعددة والمختلفة، وتلك البقايا المادية من أوانٍ وحلي، وملابس ووثائق، وكتابات جدارية وغيرها إذْ كلها تعبّر عن روحها ونبض حياتها وثقافتها، فأهمية الحفاظ على التراث الثقافي في الأهداف التي يمثلها هذا التراث وهي:

الحفاظ على التراث الثقافي وبعده الحضاري، وحفظه لذاكرة وهوية الإنسان والمجتمع، ذلك أن الإنسان مكوّن من مادة وروح وبما أن التراث الثقافي يحتوي على جانبين : الملموس ممّا أنتجه السابقون من مبانٍ، وأدوات ومدن وملابس، وغيرها ممّا هو مادي، وغير الملموس من معتقدات، وعادات ولغات وتقاليد وغيرها، فإن هذيْن العنصريْن يكوّنان عصب الحضارة و الحفاظ عليهما يعني الحفاظ على ما أنتجه الإنسان في مجتمع ما ككينونة وكهوية فردية ومجتمعية، فالتراث يمثل الذاكرة الحية للفرد وللمجتمع، ويمثل بالتالي هوية يتعرف بها الناس على شعب من الشعوب ويمكن لنا أن نوضح بمثال في بلادنا الجزائر مثل حظيرة التاسيلي، أو الأهقار تمثل هوية الإنسان الجزائري في أقصى الجنوب الجزائري.

. الحفاظ على الموروث الثقافي هو إغناءٌ للثقافة الإنسانية بالحفاظ على التنوع الثقافي لدى شعوب المعمورة.

. إن الموروث بقيمه الثقافية والاجتماعية يكون مصدرا تربويا، وعلميا، وفنيا، وثقافيا، واجتماعيًا.

. إن فقدان الموروث الثقافي يعني فقدان الذاكرة، ويعني افتقارا اقتصاديا مهمّا في التنمية المحلية لمناطق هذا التراث، وخلْق ديناميكية تنموية شاملة يستفيد منها السكان المحليون.

. إن الموروث الثقافي يعتبر بوتقة للتنوع الثقافي وعاملا يضمن التنمية المستدامة .

. إن الموروث الثقافي يساعد على تطوير الوعي الاجتماعي ونفسي للناس بموروثهم الثقافي فيقتربون بهويتهم الأصلية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخلاصة:

إن لكل أمة تراثا تعتز به وتفتخر، وتعتبره الجذر الذي يمتد في الماضي السحيق ليؤرخ ماضي الأمة وأمجادها العظيمة، وتعتبر الحاضر امتدادا للماضي، ويشكل السمة المميزة لكل أمة عن غيرها ويتضمن الموروث التراثي الثقافي على معلومات جمالية، وتاريخية، وعلمية، واجتماعية اقتصادية، أو قيم روحية للماضي، والحاضر والمستقبل وتبرز هنا الحاجة الماسة والمستمرة لتقييم أهمية وحالة التراث الثقافي، والدور الذي يلعبه في وجوده على هذه الأرض، والدور الاقتصادي والتكنولوجي للتراث الثقافي في الفنون، والتغيرات الاجتماعية والعلمية، فهذا التقييم يعتبر أساسا لاتخاذ القرارات من أجل حماية ونقل معاني القيم التراثية للمجتمع، وهذه الحماية لن تتحقق إذا لم تكن ضمْن نهضة ثقافية حديثة شاملة مرفقة بوعي لمكوّنات هذا التراث الثقافي والنظر إليه لا كماضٍ غاب وانقضى، بل هو حاضرٌ دوْمًا وحيٌّ ومحفّزٌ لنا في الاندماج بفعالية في الحاضر، والإطلالة بثقة على المستقبل، لا كقيدٍ يكبّلنا ويشدّنا إلى ذلكم الماضي لوحده، فننقطع عن دورة الحياة المعاصرة، وننكفئ على أنفسنا فتجرفنا التيارات الخارجية ولا نقوى حينها على المقاومة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المراجع:

(1)عبد الغني عماد، **سوسيولوجيا الثقافة-مفاهيم ولاشكالية من الحداثة الى العولمة-**،دار النشر بيروت، ط1،سنة 2006،317

(2)يسمينة شرابي، **الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري -نماذج من رحلات القرن العشرين-**،مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في اللغة والأدب، جامعة البويرة 2012 2013،ص 21

(3)عبد الغاني عماد، نفس المرجع السابق،ص 312

(4)يسمينة شرابي، نفس المرجع السابق، ص21

(5) طواهري الميلود،**المقدس الشعبي – تمثلات ومرجعيات وممارسات** -، دار الروافد الثقافية للنشر، ط1، 2006،ص 156

(6) يسمينة شرابي، نفس المرجع السابق، ص22

(7) عبد الغاني عماد، نفس المرجع السابق،ص ص ص187 188 189

(8) فاروق حسان، **ثقافة المتنبي**، دار العامرية بالاسكندرية للنشر،ط1،2008، ص14

(9) علي ليلة،**الطفل والمجتمع**، المكتبة المصرية للنشر، 2006،ص 259

(10) عزيز الحاج،**الغزو الثقافي ومقوماته**، المؤسسة العربية للنشر، ط1، 1983،ص 22

(11)عزيز الحاج، نفس المرجع السابق، ص38

(12)نفس المرجع،132

(13) ابراهيم عبد الحق، **أسس التربية**، دار الفكر للنشر، ط1، 2009،ص 102

(14) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **التغير الاجتماعي و المجتمع**، المكتب الجامعي للنشر،الاسكندرية، 2008،ص ص ص 31 32 33

(15) أحمد الفنيش، **أصول التربية**، دار الكتب الوطنية للنشر،ط 3، 2004، ص37

(16) أبوطالب محمد سعيد، **عوامل التربة الجسمية والنفسية والاجتماعية**، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، ط،2001،ص79

(17) خالد محمد أبو شعيرة، **المدخل إلى علم التربية**، مكتبة العربي للنشر والتوزيع،ط 1، 2009،ص 180

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com